Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لستُ أنسى ليلَتى منه وقد أنجزَتْ عينا بَخِيلٍ ما وَعَدْ(١١٦)

ويلاحظ بصدد المقدمة التى تستغرق تسعة أبيات ، اشتمالها على بعض الألفاظ التى توحى بأنها تتصل بالخليفة ، أكثر من اتصالها بالحبيبة ، التى يتظاهر بمخاطبتها مثل : جائر فى الحكم ، سيد ، يصدف ، يصد ، حال عن بعض الذى أعهده ، واش ، بخيل . وبعد أن يختبىء وراء الحبيبة ، التى يصفها بالسيد الجائر فى الحكم ، يمضى فى تعداد مساوئها .

وفى قصيدته التى يمدح بها ابن ثوابة ، نرى المقدمة تكاد تخرج من الرمز إلى التصريح بالتذمر من أهل زمانه ؛ فهو يتحدث عن ضلال صاحبته « دعد » وصدودها وهجرها وبخلها ، ثم يستبدّ به الغضب ، فينسى أنه يخاطب صاحبته ، ويعرّج على التصريح بذم كبار القوم ، إذ إن فيهم من هم أبخل من دعد ، ثم يلح أن الدهر لم يعطه حقه ، وأنه من الغبن أن يرحل إلى قوم تكون حاجاتهم عنده ، ومع ذلك فهم يجهلون مقدار نقصهم ، يقول الشاعر :

ضَلالاً لها ماذا أرادت إلى الصدِّ ونحن وقوفٌ من فِراقٍ على حَدِّ
مزاولةٌ أن تخلِطَ الوِدَّ بالقِلى ومزمِعةٌ أن تُلحقَ القُربَ بالبُعْدِ
رأت لِمّةً علىَّ بَياضا سوادَها تعاقبُ مُبْيَضٌّ عليها ومُسْوَدِّ
فلا تَسألا عن هجرِها إنَّ هجرَها جَنى الصَّبرِ يُسقى مُرَّه من جَنى الشَّهْدِ
ولا تَعجبا من بُخْلِ «دَعْدٍ» بِنَيْلها ففى النَّفَرِ الأعلينَ أبخلُ من «دَعْدِ»
أَضِنَّ أَخِلاَّءٍ ، وضِنَّ أَحبَّةٍ ! فلا خلَّة تُصفَى ، ولا صِلة تُجْدى
أيذهبُ هذا الدهرُ لم يَرِ موضعى ولم يدرِ ما مقدار حلِّى ولا عَقْدى
ويكسُدُ مثلى وهو تاجرُ سُؤْدَدٍ يبيعُ ثمينَاتِ المكارمِ والحَمْدِ
سَوائر شعْرٍ جامعٍ بَدَدَ العُلا تَعلَّقنَ مَنْ قبلى وأتعبْنَ مَنْ بَعْدى
يُقدِّرُ فيها صانعٌ مُتعمِّلٌ لإِ حكامِها تقديرَ داودَ فى السَّرْدِ
خَليلىَّ لو فى المَرْخ أقدحُ إذ أبى رجالٌ مؤاتاتى إذنْ لكبار زَنْدى

(١١٦) ديوان البحترى ٢ : ٦٦٧ .